



كلية اللغة العربية بأسسيوط
المجلة العلمية

العادات المصاحبة للأوبئة في مصر في عصر المماليك

(١٢٥٠ - ١٥١٧ م / ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ)

إعداد

د/ أسماء جلال صالح

مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الدراسات الإنسانية - تفهنا الأشراف
جامعة الأزهر

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الأول - الجزء الثاني)

(١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م)

العادات المصاحبة للأوبئة في مصر في عصر المماليك

(٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

أسماء جلال صالح

قسم التاريخ الإسلامي - كلية الدراسات الإنسانية - تفهنا الأشراف

البريد الإلكتروني: ajsaleh@kku.edu.sa

المخلص :

يتناول هذا البحث العادات المصاحبة للأوبئة التي تعرضت لها مصر في عصر المماليك البحرية والبرجية (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ، حيث تناولت الدراسة التعريف بمرض الطاعون في السنة النبوية الشريفة، ثم التعريف العلمي للمرض مع ذكر أنواعه، كما ذكرت الطواعين التي ظهرت في مصر في عصر المماليك البحرية والبرجية في الفترة من (٦٧٢ - ٩١٩ هـ / ١٢٧٣ - ١٥١٣ م) والعادات المصاحبة لها. وقد اجتاحت هذه الأوبئة المجتمع المصري بمختلف طبقاته، وصاحب ذلك ظهور الكثير من العادات الاجتماعية في مصر في تلك الفترة، وقد رصدت في هذه الدراسة أهم الأوبئة التي ظهرت في مصر، مع ذكر العادات المصاحبة لها لدى كافة طبقات المجتمع المصري لدى السلاطين والوزراء و الأمراء والأعيان والفقهاء والعلماء ، وكذلك لدى عامة المصريين.

الكلمات المفتاحية : العادات - الأوبئة- الطاعون- المماليك البحرية والبرجية.

***The behaviors Companion to epidemics in
Egypt
during The Mamluk Era(648- 923A.D) /1250-
1517A.H***

Asmaa Jalal Saleh

Department of Islamic History, Faculty of Human Studies,
Al- Azhar University, Tafahna Al-Ashraf, Egypt .

E mail. ajsaleh@kku.edu.sa

Abstract :

This search include the behaviors which Companion to Plagues and epidemic in Egypt during The Bahri clique Mamluks (1250 – 1381 A.D) and the Burgi Mamluks (1382 – 1517). The research included definition the Plagues means in The Noble Prophet's Sunnah and Scientific definition of the disease , and its sorts. the Study focused on plagues during The Bahri and Burgi Mamluks Sultans and its behaviors which Companion to it. Egypt saw number of outbreak of epidemics which led to demographic crisis affected the different classes of the Egyptian people, So Social new habits emerged between different Egyptian society class, like as Mamluks Sultans , ministers , princes, Notables, Jurists, Scientists and Egyptian populars.

Keywords: behaviors - Epidemics – Plagues - Bahri Mamluks - Burgi Mamluks.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، يسمع دعاء الخلاق ويُجيب، يستر العصاة، ويُمهل البغاة، ويجيب المضطر إلى دعاه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

تعددت الأوبئة التي اجتاحت مصر خلال العصر المماليك البحرية والبرجية (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)، وكانت هذه الأوبئة غامضة في أذهان العامة، وحتى الأطباء الذين حاولوا أن يقدموا لها تفسيرات من خلال مؤلفاتهم ورسائلهم، وقد فوجئ المجتمع المصري ما بين الحين والحين-خلال تلك الفترة- بمرض الطاعون الذي كان يولد انتشاره فزعاً ورعباً يجتاح المصريين على اختلاف طبقاتهم، وقد صاحب ظهور الطواعين الكثير من العادات الاجتماعية، وفي هذه الدراسة نتتبع أهم الطواعين التي ظهرت في مصر في تلك الفترة، مع ذكر العادات المصاحبة لها، سواء كانت عادات للسلطين والوزاء و الأمراء والأعيان، أو العادات عند الفقهاء والعلماء، وكذلك العادات المصاحبة التي ظهرت لدى عامة المصريين، وهذا ما دفعنى لاختيار هذا الموضوع، وهو تسليط الضوء على عادات المجتمع المصري على اختلاف طبقاته عند انتشار هذا المرض، فقد ركزت الدراسات السابقة على تتبع انتشار مرض الطاعون وفترات تراجعه وانكساره، دون ذكر العادات المصاحبة لانتشاره.

هذا وقد قسمت هذه الدراسة إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

مقدمة : أوضح فيها الهدف من اختيار موضوع البحث.

وثلاثة مباحث .

وتناولت في **المبحث الأول**: التعريف بمرض الطاعون في السنة النبوية الشريفة ، ثم تناولت التعريف العلمى للمرض.

والمبحث الثانى: تحدثت فيه عن الطواعين التى ظهرت في مصر في عصر المماليك البحرية والعادات المصاحبة لها.

ثم تحدثت في **المبحث الثالث** : عن الطواعين التى ظهرت في مصر في عصر دولة المماليك البرجية.

وقد تتبعت في ذلك أحداث ظهور وانتشار مرض الطاعون، مع ذكر العادات المصاحبة لانتشاره فى المجتمع المصرى، سواء كانت تلك العادات لدى السلطان والأمراء والوزراء والأعيان، أو لدى العلماء والفقهاء، وكذلك لدى عامة الشعب المصرى.

وختاماً....

فهذا جهدي - وهو جهد المقل- والخطأ والنسيان من طبيعة البشر، ولا كمال إلا لله وحده، فإن كنت قد وفقت فمن الله -عز وجل - وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يمن علينا بالتوفيق والسداد، وأن يهدينا إلى طريق الهدى والرشاد، فإنه ولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

التعريف بمرض الطاعون في السنة النبوية الشريفة

أولاً: الطاعون في السنة النبوية الشريفة.

حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتكاب بعض المعاصي التي تسبب غضب الله عز وجل، وتكون سبباً مباشراً في إنزال العقوبات الإلهية على الإنسان وماله ودوابه، فعن أبي بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي يقدرّون على أن يغيروا، ثم لا يُغيروا إلا يُوشك أن يعمهم الله منه بعقاب. (١)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال : " يا معشر المهاجرين، خمس خصال، وأعوذ بالله أن تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها، إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء،

(١) أبو داوود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) : سنن أبي داوود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، د.ت ، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ، حديث رقم ٤٣٣٩ . الطبراني(سليمان بن أحمد ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت ٣٦٠هـ / ٩٧١م) : المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ٢ / ٣٧٨ . ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥ م) : صحيح ابن حبان ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ ، رقم الحديث ١٨٣٩-٥٥٩٤ .

ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله عز وجل ويتخيروا في كتاب الله عز وجل إلا جعل الله عز وجل بأسهم بينهم.^(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال كان عذاباً يبعثه الله على من كان قبلكم فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد.^(٢)

(١) ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ت ٢٧٣هـ /

٨٨٦م): السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت، حديث رقم ٤٠١٩، ص ٦٦٤. ابن أبي الدنيا (عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م): العقوبات ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم سنة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، ص ٢٤-٢٥ .

الحاكم (أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ت ٤٠٥هـ): المستدرک ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ج ٤، ص ٥٨٢ .

(٢) أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني

ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م): مسند الإمام أحمد ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، حديث رقم ٢٣٨٣٧ . البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦): السنن الكبرى ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، دار المعرفة ، كتاب الجنائز، باب الوباء يقع بأرض

فلا يخرج ، حديث رقم ٦٤٢٤ . مسند الإمام أحمد ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، حديث رقم ٢٣٨٣٧ .

ثانياً: التعريف العلمي لمرض الطاعون:

تحدث الأطباء المسلمين عن مرض الطاعون، وحاولوا أن يجدوا له تعريفاً علمياً ويضعوا له العلاج، ومن هؤلاء الطبيب والفيلسوف ابن سينا الذي حاول أن يقدم شرحاً لهذا المرض في كتابه القانون، فيقول: "يُطلق الطاعون على كل مرض قتال لاستحالة مادته إلى جوهر سُمِّي، يفسد العضو، ويغير لونه، وربما رشح دمًا وصديدًا، ثم يؤثر على القلب عن طريق الشرايين، فيحدث القئ والخفقان والغشى، وإذا اشتدت أعراضه قتل"^(١). ويظهر في جسم الإنسان في أماكن الآباط والمرافق وخلف الأذن، أو في الأيدي والأصابع، وأشدّهم خطراً هو ما يظهر في الآباط وخلف الأذن، كما أن مرض الطاعون يكثر في البلاد الوبئية التي يفسد فيها الهواء الذي لا يستطيع إنسان ولا حيوان العيش بدونه.^(٢)

ومن الملاحظ اختلاط التسمية بين الطاعون والوباء، ولكن حقيقة الأمر أنه يوجد هناك فرق بين الطاعون والوباء، إذ إن الطاعون أخص من الوباء، فكل طاعون وباء، وليس العكس، ولما كان الوباء ينشأ عنه كثرة الموت، والطاعون كذلك، فأطلق عليه اسمه واختلطت التسمية.^٣

(١) ابن سينا (أبو الحسين بن علي بن سينا ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م): القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ج ٣ ص ١٦٤.

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م): بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة الرياض، د.ت.ص ٩٩.

(٢) ابن سينا: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٥. ابن حجر: المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ص ١٠٤.

أما منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة، فتُعرف الطاعون بأنه مرض معدٍ يصيب الإنسان والحيوان تسببه جرثومة تعرف باسم "باليرسينيا الطاعونية"، وهذه الجرثومة تُوجد في الحيوانات القارضة أو البراغيث الموجودة عليها^(١)، وقد حدثت أوبئة الطاعون عندما كانت هناك حالات من وصول براغيث القوارض البرية إلى القوارض الداجنة في حواف ومحيطات المدن، عند ذلك ينتشر المرض بسرعة بين القوارض الداجنة، ويقتل عدداً كبيراً منها^(٢)، وعن طريق الجرذ الأسود الذي يعيش في البيوت الريفية والخشبية تنتقل البراغيث من الجرذان المصابة والميته إلى الإنسان.^(٣)

ثالثاً: أنواع مرض الطاعون:

ينقسم مرض الطاعون إلى ثلاثة أنواع تختلف طرق انتقالها وانتشارها من نوع إلى آخر.

١- الطاعون الدبلي (الدبلي-الغددي):

هو أكثر الأنواع حدوثاً، ينتقل المرض بين القوارض كالفئران حيث ينتقل فيما بينها بواسطة البراغيث التي تسبب لها الوفاة، وعند حدوث الأوبئة تنتقل هذه البراغيث من أجسام القوارض الميته، وتهاجم جسم الإنسان لتتغذى على دمه، وتُصبح معدية لعدة أشهر لاحقة^(٤)

(١) جليل أبو الحب، الحشرات الناقلة للأمراض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢ م، ص٦٢.

(٢) جليل أبو الحب، المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) جليل أبو الحب: الحشرات الناقلة للأمراض، ص٦٣. علي المرسى، أساسيات علم

الحشرات، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص٤٥٥.

(٤) علي المرسى: المرجع السابق، ص٤٥٥.

ومن الأعراض المميزة لهذا النوع إصابة المريض بالحمى والصداع وتورمات مؤلمة في الغدد الليمفاوية للفخذ والإبط أو الرقبة^(١).

٢- الطاعون الرئوي:

أكثر أنواع الطاعون خطورة لسهولة انتقاله وانتشاره بين المخالطين للمريض خاصة في الظروف المناخية والبيئية غير الصحية، وهذا النوع قد ينتقل من إنسان لآخر عبر الهواء حين يستنشق ذرات هواء ملوثة بالجراثيم، وذلك عن طريق العطاس أو السعال أو البصاق، ومن الأعراض المميزة لهذا النوع إصابة المريض بالحمى والشعور بالبرد وصعوبة في التنفس وآلام في الصدر، وسعال مصحوب ببصاق ملوث بالدم.^(٢)

٣- الطاعون الدموي (التسمي-العفني) :

يحدث حينما يتكاثر الجراثيم داخل الدورة الدموية، وقد يكون ثانوياً للإصابة بالطاعون الرئوي أو الدبلي، وقد يحدث دون ارتباط بينهما، والطاعون العفني لا ينتقل من إنسان لآخر، ومن الأعراض المميزة لهذا النوع، إصابة المريض بالحمى وهبوط حاد في القلب، وآلام في البطن، مع بقع من الدم تحت الجلد تشبه الكدمات.^(٣)

(١) جليل أبو الحب: المرجع السابق، ص ٦٣. على المرسي: المرجع السابق، ص ٤٥٥.

(٢) جليل أبو الحب: الحشرات الناقلة للأمراض، ص ٦٣. على المرسي: أساسيات علم الحشرات، ص ٤٥٥.

(٣) جليل أبو الحب: المرجع السابق، ص ٦٣. على المرسي: المرجع السابق، ص ٤٥٥.

المبحث الثاني

الطواعين التي ظهرت في مصر في عصر المماليك البحرية

والعادات المصاحبة لها

خضعت مصر لحكم دولة المماليك البحرية في الفترة بين (٦٤٨-٧٨٤ هـ/١٢٥٠-١٣٨٢ م)، وقد تعرضت مصر خلال تلك الفترة لانتشار مرض الطاعون والأوبئة مرات عديدة، ونستعرض ذلك فيما يلي:

تعرضت مصر لانتشار الوباء في سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م)، وهلك فيه عدد كبير من الناس وخاصة الأطفال والنساء. إلا أن المصادر لم تقدم لنا معلومات وافية حول هذا الوباء.^(١)

(١) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيذر العلامي ت ٨٠٩/١٤٠٦ م): النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٩٩ م، ص ٦٣. المقرئزي (تقى الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئزي ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م السلوك، ج ٢، ص ٨٧. العيني (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧-١٩٨٨ م، ج ٢، ص ١٢٠.

وفي سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م) حدثت مجاعة ورافقها انتشار الوباء، واستمرت هذه المجاعة والوباء إلى سنة (٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م).^(١) ولعل من أهم أسبابه الرئيسية انتشار الجثث الملقاة في الشوارع، وتعفنها وبالتالي أدى ذلك إلى حدوث الوباء.

وبدأ هذا الوباء بالانتشار في شهر (ربيع الأول ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م)، ويصف المقرئزي شدة فتك هذا الوباء بالأرواح بقوله: "ووقع في شهر ربيع الأول من هذه السنة بديار مصر كلها وباء، وعظم في القاهرة ومصر"^(٢)، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحاً في الأزقة والشوارع ملقى في

(١) ج ٢، ص ٣٧٠. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ج ٥٢، ص ٣٧-٤٢.

العيني: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٥. المقرئزي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٧.
(٢) مصر: يقصد بها هنا مدينة الفسطاط، وهي مدينة بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه، وجعلها معسكراً للعرب الذين فتحوا مصر، وبني فيها جامعته الذي ما زال قائماً إلى اليوم وقد اتسعت حتى أصبحت حاضرة

مصر الإسلامية حتى أواسط القرن الثالث للهجرة، وقامت إلى جانبها مدينة القطائع الطولونية، ثم مدينة القاهرة التي طغت عليها، والفسطاط اليوم هو مدينة مصر القديمة التي تعتبر بعض أحياء القاهرة.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م): معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج ٤، ص ٢٦١-٢٦٦. الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ت: ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ج ١، ص ٥٥٢. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي جلال الدين ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م، ج ١، ص ٧.

الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم".^(١)

وازدادت حدة الوباء في شهر (ذي الحجة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م)، حيث قدرت بعض المصادر ضحاياه في هذا الشهر بنحو عشرين ألف شخص^(٢)، وفي مستهل سنة (٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م) ازدادت حدة الوباء بشكل كبير جداً، وأحصت بعض المصادر من مات في شهر (صفر ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) بأكثر من مائة وعشرين ألف شخص^(٣)، وقد وصف المقرئزي ازدياد حدة هذا الوباء بقوله: "وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة في كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل في الميضاة من الغرباء الطرحاء في كل يوم نحو المائة والخمسين ميئاً،

ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفئهم، فيشتغل نهاره، ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد في ثوب ثم ساعة ما يوضع في

(١) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٢٦١.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥٢، ص ٣٧. ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ١٣، ص ٤٠١. المقرئزي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٢ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٣) ابن الجزري (محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي أبو عبد الله): تاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ١، ص ٢٨٢. الذهبي: المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٤٠. المقرئزي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٨.

حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن في الثوب الواحد عدة أموات، وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تُطم بالتراب، ورمي كثير من الأموات في الآبار حتى تملأ ثم تُردم، ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقي على الطرقات حتى أكلته الكلاب".^(١) قد بدأت حدة هذا الوباء تخف في شهر (ربيع الأول ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م)، وارتفع بالكلية في شهر جمادى الثاني.^(٢)

وفي سنة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) تفشى الوباء والأمراض الحادة في مصر^(٣)، ولم تقدم المصادر معلومات كافية عن هذا الوباء أو الأمراض.

أما في سنة (٧١٦ هـ / ١٣١٦ م) حدثت عاصفة شديدة في صعيد مصر ضربت أسوان، وإسنا وأرمنت، وصاحب هذه العاصفة حدوث حريق في المناطق الزراعية، وأعقب ذلك انتشار الوباء في المنطقة مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من السكان، وانتشر الوباء إلى الأشمونين.^(٤)

(١) المقریزی: السلوك، ج ٢، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، د.ت، ج ٢، ص ٢٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٤٠٥. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥٢، ص ٤٠-٤١. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣١٤.

(٣) المقریزی: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣

(٤) المقریزی: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥

وكما انتشرت الأمراض الكثيرة في مصر في سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م)^(١)، وكذلك سنة (٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م)^(٢)، وأيضاً لم تقدم المصادر معلومات كافية عن هذه الأمراض. وفي سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) انتشر الوباء بمصر، ووصفه ابن أبيك بأنه كان يسيراً^(٣).

ومن خلال ما سبق يتبين أن مصر قد تعرضت في الفترة من (٦٧٢ - ٧٢٧ هـ / ١٢٧٣ - ١٣٢٦ م) إلى ثمانية طواعين، وقد اختلفت في قوتها وانتشارها، كما يتبين أن الطاعون الذي وقع في سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)، والذي استمر حوالي عام، كان هو الأكثر قوة وخطراً، ولم ينته إلا بعد أن حصد أرواح آلاف المصريين.

الطاعون العالمي طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م:

انتشر الوباء العظيم الذي شمل كل أنحاء العالم تقريباً، وذلك سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)، وقد ورد ذكره في بعض المصادر بالعديد من الأسماء، منها "الوباء الكبير" أو "سنة الفناء"، كما وصفه آخرون بقولهم "الوباء الذي لم يُعهد مثله"^(٤)، وقد استمر هذا الوباء إلى بداية سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م).

(١) السيوطي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٥

(٢) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري، ج ٢، ص ١٧٦. المقرئ: المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٥.

(٣) ابن أبيك (أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدوداري ت ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م): كنز الدرر نشر وتحقيق

قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للأثار بالقاهرة، د. ت، ج ٩، ص ٣٥.

(٤) المقرئ: السلوك، ج ٤، ص ٨٠. ابن شاهين الظاهري (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين

الظاهري الحنفي ت ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري

المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ج ١، ص ١٧٧. ابن إياس (محمد

ابن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد

مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ج ١، قسم ١، ص ٥٢٨.

وكان هذا الطاعون قد انتشر في معظم أنحاء العالم، فتنقل ما بين بلاد القرم والصين والهند، و بلاد الفرنج والأندلس وبغداد، وقبرص، وغزة، ثم توصلت الأخبار بوقوعه في أطراف مصر وابتدأ مع فصل الخريف من عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وأخذ في الانتشار مع شهر المحرم ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م^(١)، كما انتشر الطاعون في الوجه البحرى، وكثر عدد القتلى في مدينة الإسكندرية، ووصل إلى السبعمئة في اليوم الواحد، وأغلقت الأسواق لقلّة وجود الناس، وكذلك دار الطراز لعدم وجود الصناع، كما أغلقت دار الوكالة لعدم الوارد إليها^(٢)، واستمر انتشار المرض في مدن الوجه البحرى في دمنهور، والمحلة، والبرلس، ونستراوة^(٣)، ودمياط، وتعطلت أعمال الصيد لموت الصيادين، ويصف المقريزى ما تعرض له الصيادين في مدينة دمياط فيقول: " مات العباد فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكاً ميتاً، فكان يوجد في السمكة كبة "^(٤).

أما في الأقاليم الزراعية كالشرقية وغيرها عجز الأهالى عن ضم الزرع، وقد حان وقت حصاده ، واضطر الجنود والغلمان من المماليك الخروج لجمع الحصاد بأنفسهم لموت الكثير من الفلاحين، وامتألت الطرقات والأسواق بالموتى

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٢٢٥-٢٢٦. المقريزى: المصدر السابق، ج٤، ص٨١-

٨٣. ابن تغرى بردى(جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى الأتابكى ت ٨٧٤هـ /

١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب

المصرية، د.ت. ج١٠، ص١٩٥-١٩٨.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، ج٤، ص٨٤.

(٣) نستراوة أو نسترو بالفتح ثم السكون والراء مضمومة، وهى جزيرة بين دمياط

والإسكندرية. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٤.

(٤) المقريزى: المصدر السابق، ج٤، ص٨٥.

ولم يجدوا من يدفنهم، وانتشرت الجيف في تلك الأماكن، مما أدى إلى انتقال الكثير من الأحياء إلى القاهرة فراراً من الموت^(١).

وقد أخذ الطاعون في الانتشار خلال شهرى شعبان ورمضان سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م وتزايدت أعداد القتلى التي تراوحت بحسب المصادر ما بين عشرة آلاف إلى عشرين ألفاً في كل يوم^(٢). ومع بداية شهر شوال تضاعفت أعداد الموتى بين المصريين، سواء من العامة بالشوارع والأسواق، أو من المماليك السلطانية بالقلعة^(٣).

واستمر خطر الطاعون في تزايد في شهر ذى القعدة، وتزايدت أعداد القتلى من الناس، وصارت "النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط"^(٤) وامتلاً مسجد الحاكم بأمر الله عن آخره بنعوش الموتى للصلاة عليهم؛ ونظراً لذلك وقف الأهالي خارج المسجد لإقامة الصلاة^(٥).

-
- (١) المقریزی: السلوك، ج٤، ص٨٥. ابن تغری بردی: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٠٩، ٢٠٣.
- (٢) ابن دقماق: الجواهر الثمين في سيرة الملوك والخلفاء والأساطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ١٩٨٢، ص٣٨٧. ابن تغری بردی: المصدر السابق، ج١٠، ص١٩٥. السخاوی (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوی ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م): وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، د.ت. ج١، ص٣٤. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج١، ص١٧١.
- (٣) ابن تغری بردی: المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٦.
- (٤) المقریزی: المصدر السابق، ج٤، ص٨٧.
- (٥) المقریزی: المصدر نفسه، ج٤، ص٨٧. ابن تغري بردی: المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٦.

كما امتد هذا الوباء ليشمل جميع أقاليم الصعيد^(١)، وقدرت بعض المصادر أعداد الموتى بحوالى تسعمائة ألف^(٢)، وبدأ الطاعون بالتناقص مع بداية شهر ذى القعدة، وتناقصت أعداد الموتى يوماً بعد يوم، حتى زال الوباء وارتفع بعد مقتل الآف المصريين، منهم العلماء والمشاهير والأعيان^(٣)، ونذكر من هؤلاء الشيخ الصوفي عبد الله المنوفى المالكي^(٤)، والشيخ محمود بن عبد الرحمن الهمذاني الشافعي^(٥)،

- (١) المقرئى: السلوك، ج٤، ص٨٨. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٠٩.
- (٢) يبدو أن هذا العدد مبالغ فيه ولكن مما لا شك فيه ان أعداد الموتى كانت كثيرة وقد تكون حوالى تسعين ألف .
- (٣) ابن تغري بردى: المصدر السابق، ج١٠، ص١٩٥. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل ج١، ص١٧٧.
- (٤) عبد الله محمد بن سليمان المنوفى المالكي، ولد ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م ببلاد المغرب واستقر في مصر، وهو أحد العلماء المتصوفة، وقد تميز في علوم عديدة منها اللغة العربية، والفقه، والتفسير، والتصوف، وذكرت عنه العديد من الكرامات، دفن في مصر وكان قبره مقصداً للزائرين. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج١، ص١٧٤. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٥٢٨.
- (٥) محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن بكر بن على الهمذاني الشافعي، ولد سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م في همذان، ثم رحل من بلاده لآداء فريضة الحج واستقر في القاهرة، بنى له قوصون خانقاة وعُين شيخاً عليها، وكان عالماً فاضلاً، وله العديد من المؤلفات، منها "شرح مختصر ابن الحاجب"، و"شرح الطوالع والطلالع"، وغير ذلك من المؤلفات. المقرئى: المصدر السابق، ج٩٦، ص٤. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج١، ص١٧٤. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم ١، ص٥٢٨.

والطبيب محمد الأكفاني^(١)، وغيرهم الكثير من العامة، وأهل العلم والمشاهير والأعيان من أهل مصر^(٢).

أماعن العادات الاجتماعية التي صاحبت ظهور هذا الطاعون و نقسمها

إلى:-

-العادات لدى السلطان والأمراء والوزراء:

- فقد ظهرت بعض العادات لدى السلطان والأمراء والوزراء، ومنها الابتعاد عن مكان الطاعون، والانتقال إلى مكان آخر قد يكون أكثر أمناً وخالياً من الوباء، وهذا ما قام به السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨-٧٦٢ هـ/١٣٤٧-١٣٦٠ م)^(٣) والأمراء والوزراء عندما توجهوا إلى مدينة سرياقوس^(٤)، واستقبلوا فيها شهر رمضان^(٥).

(١) الطبيب شمس الدين محمد الأكفاني الطبيب والحكيم المعروف ، وله العديد من المؤلفات في الطب . المقریزی:المصدر السابق،ج٤،٩٦.ابن شاهين الظاهري:المصدر السابق،ج١،ص١٧٤.

(٢) المقریزی:المصدر السابق،ج٤،ص٩٣-٩٩.ابن شاهين الظاهري:المصدر السابق،ج١،ص١٧٨. ابن إياس:المصدر السابق،ج١،قسم ١،ص٥٣٣.

(٣) السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون، ولد سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٦ م، وهو السلطان التاسع عشر من سلاطين المماليك ، بويع بالسلطنة بعد مقتل أخيه المظفر حاجي، ويقال أنه كان عمره حوالي ثلاثة عشر عاماً وأقيمت العديد من الإنشاءات فى عصره، منها المدرسة المعظمية القريبة من القلعة، وقتل فى جمادى الأول سنة ٧٦٢ هـ/١٣٦٠ م.ابن دقماق: الجواهر الثمين،ص٣٨٦، ٣٨٧. السخاوى: الذيل، ج١،ص٣٠-٣١.

ابن إياس:بدائع الزهور،ج١،قسم ١،ص٥١٩.

(٤) سرياقوس: بلدة صغيرة ضواحي القاهرة. ياقوت الحموى: معجم البلدان،ج٣،ص٢١٨.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢٠٤.ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل،ج١،ص١٧١.

- زهد أصحاب الأموال من الأمراء والوزراء فى أموالهم، وشعروا بدنو آجالهم ورغبوا فى عمل الخير وتوزيع الأموال على الفقراء فى أنحاء عديدة من قرى مصر، وهو ما قام به الوزير منجك عندما أرسل كريم الدين مستوفى الدولة، ومحمد بن يوسف مقدم الدولة على رأس جماعة من أعوانه وأعطاهم الكثير من الأموال وطلب منهم التصدق بها على الفقراء بقرى مصر " ففعلوا ولم يعودوا إلا بالقليل من المال". (١)

- بسبب كثرة أعداد الموتى من المصريين أشرف عدد من الأمراء والوزراء بأنفسهم على تجهيز الموتى، كتغسيل الموتى، وتجهيز المقابر وغير ذلك من أعمال الدفن. (٢)

- أصدرت الأوامر السلطانية بتخصيص جماعات من المتطوعة للإسراع فى تجهيز الموتى وتكفينهم، وتخصيص مجموعات أخرى للصلاة عليهم بالمساجد والزوايا. (٣)

- حرص بعض الوزراء والأمراء على مشاركة العامة فى التجمعات للدعاء والتضرع إلى الله لرفع الوباء، وهذا ما قام به الأمير شيخون، والوزير منجك اليوسفى، ومعهم العديد من الأمراء. (٤)

- حرص الأمراء والوزراء على المصلحة العامة للمصريين، وأن تدبر احتياجاتهم المعيشية دون ارتفاع فى الأسعار، ولذلك أصدرت الأوامر بوجوب عودة الصانع

(١) المقرئى: السلوك، ج٤، ص٨٤.

(٢) المقرئى: المصدر السابق، ج٤، ص٨٨. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٩.

(٣) المقرئى: السلوك، ج٤، ص٨٨. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٠٩.

(٤) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٥.

وأرباب الحرف والعمال إلى أعمالهم، ومن لم يلتزم منهم وجهت له العقوبة الرادعة^(١).

- عادات العلماء والفقهاء :

حرص علماء مصر وفقهاؤها على تحمل المسؤولية وتوجيه عامة الناس إلى ضرورة الدعاء إلى الله والتضرع إليه لرفع هذا الوباء، وقد اتجه العامة للعلماء في المساجد الكبرى كالأزهر وغيره من المساجد لقراءة القرآن، وقراءة السنن كالبخارى وغيره، كما تمسك الشيوخ والعلماء بالقنوت والدعاء في جميع الصلوات لرفع الوباء.^(٢)

- العادات المصاحبة لطاعون ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م لدى العامة :

من العادات المصاحبة لطاعون ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م لدى عامة المصريين، إقبال القادرين منهم على أعمال الخير للمساعدة في تجهيز الموتى ودفنهم، ومن ذلك إعداد التوابيت والدكك، وتوزيعها بدون بمقابل كصدقات للأهالي.^(٣)

(١) المقرئى: المصدر السابق، ج٤، ص٩٠.

(٢) المقرئى: المصدر السابق، ج٤، ص٨٦. ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٤ - ٢٠٥. السخاوى: الذيل، ج١، ص٣٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم ١، ص٥٣١.

(٣) المقرئى: السلوك، ج٤، ص٨١. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٩٥.

- تحول الكثير من الصناع عن صناعتهم وأعمالهم وتوجهوا إلى العمل كمقرئين في الجنائز، كما اشتغل البعض منهم في تجهيز الموتى من أعمال التغليف والتكفين وتجهيز المقابر لدفن الموتى. (١)

- ومن العادات السيئة التي صاحبت هذا الطاعون استيلاء كثير من العامة على ممتلكات وأموال بغير حق وذلك بعد موت مستحقيها الشرعيين، سواء كانوا من عامة الشعب أو من أصحاب الإقطاعات. (٢)

- سادت حالة عامة من الحزن والجزع بين المصريين، وانخفضت الروح المعنوية لديهم؛ بسبب موت الأهل والأحبة، وتوقفت الاحتفالات العامة أو الأعراس، وأبطلت الأغاني، واستمر ذلك الوضع حتى انتهاء الوباء. (٣)

- انخفاض أسعار السلع في الأسواق، فبيعت أحمال من الكتب بأرخص الأسعار، كما انخفضت أسعار الذهب والفضة، وذلك لانشغال المصريين بالطاعون وانتشار الموت في كل مكان. (٤)

- وكذلك من العادات التي ظهرت في المجتمع المصرى أثناء ظهور هذا الطاعون ارتفاع أجور ورواتب أصحاب الأعمال والصناعات، وذلك بسبب قلة عدد المشتغلين بتلك الأعمال، فمثلاً ارتفع سعر راوية الماء إلى ثمانية دراهم لقلة من يحملونها من الرجال والجمال، وكذلك ارتفع راتب الشخص الذى يقود الخيل من

(١) ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص ٣٨٨. المقرئى: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٧. ابن تغرى

بردى: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٠٨.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٠٨.

(٣) المقرئى: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٧ - ٨٨. ابن تغرى بردى: المصدر

السابق، ج ١٠، ص ٢٠٦.

(٤) المقرئى: السلوك، ج ٤، ص ٩٠. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢١٠.

ثلاثين إلى ثمانين درهماً، كما ارتفعت أجرة طحن الأردب الواحد من القمح، فصارت خمسة عشر درهماً، وذلك لقلّة العمال. (١)

ومما سبق اتضح تعرض مصر في عصر المماليك البحرية للعديد من الأوبئة والطواعين كما تم عرضها فيما سبق، مع ذكر العادات المصاحبة لها.

(١) ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص ٣٨٨. المقرئزي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٠. السخاوي: الذيل، ج ١، ص ٣٤-٣٥.

المبحث الثالث

الطواعين في مصر في عصر المماليك البرجية والعادات المصاحبة لها

-طاعون ٨٢٢هـ / ١٤١٩م في مصر والعادات المصاحبه له:

مع بداية شهر صفر من هذه السنة ظهر مرض الطاعون في أقاليم مصر كالشرقية والغربية، وما لبث أن دخل إلى مدينة القاهرة، وازدادت حدة الوباء في شهر ربيع الأول وكان أكثر من يموت من الأطفال والشباب، وأحصى من مات بحوالى خمسين شخصاً، وبلغت عدة من مات في بلبيس ألف شخص، وفي بردين (١) خمسمائة، وكثر العدد في ديروط فبلغ ثلاثة آلاف شخص (٢).

وفي شهر ربيع الثانى اشتد انتشار الوباء، ووصل عدد الموتى في مدينة القاهرة إلى حوالى ثلاثمائة شخص في اليوم، فكانت تظهر عليهم أعراض المرض ومنها ظهور حبة الموت التى يقال لها "الكبة"، ومن ثم سرعان ما يأتيه الموت خلال ساعات، وقليل من استمر بالمرض لمدة ثلاثة أيام، وأحصى من مات في مدينة القاهرة في الفترة ما بين (٢٠ صفر حتى نهاية شهر ربيع الثانى) بسبعة آلاف وستمائة وإثنين وخمسين شخصاً، هذا بخلاف من لم يشملهم الإحصاء، ويقدر المقرئى جميع هؤلاء بحوالى عشرة آلاف شخص، وانتشر الخوف بين عامة المصريين، وبلغ عدد الموتى يوماً ما بين عشرين إلى ثلاثين شخصاً (٣).

(١) لم أجد لها في المعاجم الجغرافية، ويبدو أنها إحدى قرى الحوف الشرقى.

(٢) المقرئى: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩١، ٤٩٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٣.

السخاوى: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٦. السيوطى: حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٩.

(٣) المقرئى: السلوك، ج٦، ص٤٩٣. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٤، ص٣٣.

وقد سجل لنا المقرئزي بشكل تفصيلي نسب الضحايا من الرجال والنساء والأطفال والعبيد والإماء واليهود والنصارى، ويقول: "وكان عدة من مات بالقاهرة وورد اسمه إلى الديوان من العشرين من صفر إلى سلخ شهر ربيع الآخر سبعة آلاف وستمئة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلاً، والنساء ستمائة وتسع وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون صغيراً، والعبيد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون، وذلك سوى المارستان، وديوان مصر، و من يرد اسمه إلى الديوانين، ولا يقل ذلك عن تنمة العشرة آلاف، ومات بقرى الشرقية والغربية مثل ذلك وأزيد".^(١) وفي شهر جمادى الأولى بدأ الطاعون بالتناقص، فقد بلغ عدد الموتى يومياً حوالي سبعة وسبعين شخصاً، وفي شهر ذو القعدة يموت نحو ثلاثين شخصاً يومياً إلى أن ارتفع بالكلية في نهاية الشهر.^(٢)

العادات الاجتماعية التي صاحبت ظهور هذا الطاعون في مصر:

- العادات عند السلطان والأمراء والوزراء:

- أصدر السلطان المؤيد شيخ الظاهري (٨١٥ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١ م)^(٣) الأوامر للمحتسب ووالى القاهرة بتتبع الفساد فى العديد من الأماكن، ومن ذلك

(١) المقرئزي: المصدر السابق، ج٦ ص٤٩٥.

(٢) المقرئزي: المصدر السابق، ج٧، ص٤٩٧.

(٣) المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهري، وهو السلطان الرابع من المماليك الجراكسة، ببيع في شعبان ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م، وأصله من مماليك الظاهر برقوق وأعتقه، وتدرج في المناصب حتى صار نائب الوالى في حلب، واستمر على حكم مصر مدة ثمانى سنوات، وله العديد من المنشآت في مصر، منها المدرسة المؤيدية وكانت وفاته سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م. ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين، ص١٢٦، ١٢٧.

ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣، ٤.

- النزول إلى أماكن اللهو والتخلص من أعداد كثيرة من جرار الخمر وكسرها. (١)
- منع النساء من النياحة على الأموات، وذلك لما فيه من المخالفة لتعاليم الإسلام. (٢)
- كما منعت المواد المخدرة مثل مادة الحشيش، وغيرها من المواد التي تذهب العقل. (٣)
- منعت مظاهر الفاحشة التي كانت تمارسها بعض النساء الساقطات من البغايا في الأسواق وأماكن الريبة. (٤)
- إلزام اليهود والنصارى بتنفيذ ما أمروا به فيما يخص ملابسهم، وذلك بتضييق الأكمام الواسعة، وتصغير العمام، والتزام نسائهم بالإزار المصبوغ باللون الأصفر لليهودية والأزرق للنصرانية. (٥)
- تبيه عامة المصريين بوجوب الصيام ثلاثة أيام، على أن يكون اليوم الأول هو يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الثاني، ثم الخروج إلى الصحراء مع

(١) المقریزی: السلوك، ج٦، ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٤، ص٣٦.

(٢) المقریزی: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦.

(٣) المقریزی: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦.

(٤) المقریزی: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٥. ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكنائي ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٥٤١ هـ / ١٩٩٤ م، ج٣، ص١٩٥. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦.

(٥) المقریزی: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٨١ - ٨٤.

السلطان للدعاء إلى الله في هذا اليوم، وفي اليوم المذكور خرج السلطان، ومعه العلماء والقضاة وعامة الناس إلى الصحراء. (١)

- شارك السلطان العامة الدعاء والتضرع والبكاء إلى الله لرفع هذا الوباء، كما قام بذيح مجموعة من المواشي والضأن، مع توزيع كميات كبيرة من الخبز، تقرباً إلى الله، وزعت على الفقراء ومشايخ الزوايا والخوانق وعلى المساجد الكبيرة المساجين وعامة الفقراء في مصر. (٢)

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م عند العلماء والفقهاء:

- كان من العادات لدى العلماء والفقهاء عند ظهور هذا الطاعون هو الحرص على تنفيذ الأوامر السلطانية، والاجتماع بالعامة لقراءة القرآن، والدعاء والتضرع إلى الله. (٣)

- وقد كانت مسألة الدعاء إلى الله تعالى والتضرع إليه برفع الوباء محل خلاف بين العلماء في مصر في تلك الفترة، ووجد بينهم من كان يدعو إلى التخلي عن هذه العادة بدعوى أنها من البدع وتتنافى مع ما جاءت به السنة النبوية، إذ لم يؤثر عن النبي ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم أن تجمعوا للدعاء برفع الوباء، بينما اختار الشيخ ولى الدين البكرى خلاف ذلك، فأجاز الدعاء برفع الوباء، ولكنه رأى ألا يجتمع له بالناس مثل الحال عند الاستسقاء. (٤)

(١) المقرئى: السلوك، ج٦ ص٤٩٥، ٤٩٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٦. ابن شاهين

الظاهرى: نيل الأمل، ج٤، ص٣٧.

(٢) المقرئى: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٦ - ٤٩٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص٤٦.

ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤، ص٣٧.

(٣) المقرئى: المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٧.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص٤٦. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧٨.

- العادات المصاحبة للعامة في طاعون ٨٢٢هـ/١٤١٩م:

- ساد المجتمع المصري حالة من الخوف والفرع لانتشار الموت بين الناس، ولم يعد الموت بعيداً عن أحد، فأقدم الجميع على التوبة والعمل الصالح.^(١)

- استجابة الأهالي لدعوة المحتسب بالصيام ثلاثة أيام، ثم الخروج مع السلطان المؤيد شيخ إلى الصحراء للدعاء والتضرع إلى الله لكشف الضر ورفع الوباء.^(٢)

٢- الطاعون الذي اجتاح مصر عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م و العادات المصاحبة له:-

وفي سنة (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) تفشى طاعون عظيم اجتاح مصر بعد دخوله الشام، وكان في وقت لم يعهد فيه من قبل وقوع الوباء، إذ كان من المعتاد وقوعه في فصل الربيع^(٣)، وقد ابتداء هذا الطاعون بالتفشي في مصر منذ أواخر شهر صفر ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩م، و ظهر في الوجه البحري، وازدادت حدته في شهر ربيع الثاني، حيث خلف أعداداً كبيرة من الموتى، ففي الإسكندرية أحصي أعداد الموتى يومياً فبلغ مائة وخمسين شخصاً^(٤)، وفي المحلة مات فيها زيادة على خمسة آلاف شخص^(٥).

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) المقرئى: السلوك، ج٦، ص٤٩٥، ٤٩٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١، ص٧٨.

ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٣. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٤، ص٣٧.

(٣) المقرئى: المصدر السابق، ج٧، ص٢٠٤. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١، ص٣٣٧-٣٣٨.

السيوطى: حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٩.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص١٢٨-١٢٩.

(٥) المقرئى: المصدر السابق، ج٧، ص٢٠٣. ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص١٢٨.

وأحصي من مات في مدينة صا بحوالي ستمائة شخص^(١)، وكان عدد من مات في النحريرية قد بلغ تسعة آلاف شخص^(٢)، وتفشى هذا الطاعون في مدينة القاهرة في مستهل شهر ربيع الثاني، حيث بلغ عدد الموتى يومياً اثني عشر شخصاً، وازداد العدد حتى وصل في آخر الشهر إلى حوالي خمسين شخصاً^(٣)، وكان إجمالي عدد الموتى في هذا الشهر أربعمائة وسبعة وسبعين شخصاً، وفي مستهل شهر جمادى الأولى الثاني بلغ عدد الموتى في مدينة القاهرة المائة يومياً^(٤)، ثم ازداد العدد إلى ثلاثمائة شخص يومياً وفي مدينة الفسطاط بلغ عدد الموتى يومياً المائتين، وكان أكثر الضحايا من الأطفال والشباب ثم العبيد.^(٥)

وفي مدينة سرياقوس بلغ عدد الموتى نحو المائتين، وفي المنوفية، والقلبيوية وصل العدد إلى ستمائة شخص، وازدادت حدة الوباء وفتكه بالأرواح في شهر جمادى الثاني؛ إذ بلغ عدد الموتى في اليوم الرابع منه في مدينة القاهرة إلى ألف ومائتي شخص^(٦)، وفي الحادى عشر من جمادى الثاني بلغ عدد الموتى ألفين ومائتين وست وأربعين شخصاً، وازداد عدد الموتى إلى منتصف شهر جمادى الثاني حوالي خمسة عشر ألف شخص.^(٧)

(١) المقریزی: السلوك، ج٧ ص٢٠٤.

(٢) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٥. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٣٣٨. ابن

حجر: إنباء الغمر، ج٣ ص٤٣٧.

(٣) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٤ ص٢٦٧.

(٤) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٤. ابن حجر: المصدر السابق، ج٣ ص٤٣٧.

(٥) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٥. ابن حجر: المصدر السابق، ج٣ ص٤٣٧.

(٦) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٤ ص٣٣٩.

(٧) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٦-٢٠٧. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٤ ص٣٣٩.

ابن حجر: المصدر السابق، ج٣ ص٤٣٧.

وقد وصف المؤرخون شدة فتك هذا الوباء بالأرواح في هذا الشهر، ومن ذلك ما سجله المقرئزي بقوله: "وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها في المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات، وأكلت الكلاب كثيراً من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسالين والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها في إثر بعض^(١)، وخلت الكثير من البيوت في العديد من حارات القاهرة لموت سكانها"^(٢).

وقد بدأ الطاعون بالتناقص بالتدريج في بداية شهر رجب إلى أن ارتفع بالكلية مع بداية شهر شعبان، وقدر العدد الإجمالي لضحايا هذا الوباء في مدينة القاهرة فقط فبلغ حوالي مائة ألف نسمة، ومثل هذا العدد تقريباً في بقية المدن المصرية^(٣). وكان من المشاهير والأعيان الذين ماتوا نتيجة الطاعون، نذكر

-
- (١) المقرئزي: السلوك، ج٧ ص٢٠٧. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٣٤٣. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٤ ص٢٦٨-٢٦٩. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣ ص٤٣٨.
- (٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١٤ ص٣٣٩.
- (٣) المقرئزي: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٨. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١٤ ص٣٤٣. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٤ ص٢٨٣.

منهم ولى الدين محمد بن الدمياطى^(١)، وشرف الدين أبو الطيب بن تاج الدين عبد الوهاب^(٢)، وغيرهما من الأعيان والمشهورين.

العادات الاجتماعية التي صاحبت ظهور طاعون ٨٢٣هـ/١٤٢٩م :

العادات عند السلطان والأمراء والوزراء نذكر منها ما يلي :-

- أمر السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م)^(٣) المحتسب بأن يدعو الناس لصيام ثلاثة أيام، والتوبة إلى الله، والخروج إلى الصحراء للدعاء والتضرع إلى الله لرفع الوباء.^(٤)

- اتجه السلطان إلى السادة الأشراف المقيمين في مصر، وتقرب إليهم ظناً منه أن هذا قد يرفع الوباء عن مصر، فأمر السلطان الشريف شهاب الدين أحمد بن

(١) تولى بيت المال والكسوة أيام الملك الناصر قلاوون ، ومات وهو في الثمانين من عمره.المقريزى: السلوك ج٧، ص٢١٧.

(٢) ولد في الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وسعين وسبعمائة، تولى وقف الأشراف، وكسوة الكعبة، ودار السكة والعملة، وحمدت سيرته في ذلك. المقريزى: المصدر السابق، ج٧، ص٢١٧.

(٣) الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقي الظاهري، بويع بسلطنة مصر بعد خلع الملك الصالح محمد بن ططر، وهو السلطان الثامن من ملوك الجراكسة، وكان من مماليك الأمير دقماق نائب ملطية، ثم أعتقه وترقى في المناصب بالدولة حتى صار نائب حلب، ثم تولى السلطنة في مصر في ربيع الثانى ٨٢٥هـ/١٤٢١م، ومن أهم أعماله فتح جزيرة قبرص، وتوفى في ١٣ اذى الحجة ٨٤هـ/١٤٣٧م، فكانت مدة حكمه ستة عشر سنة وتسعة أشهر. السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجبل، بيروت، دون سنة ٣، ص٨- ١٠. ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين، ص١٣١، ١٣٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٨١، ٢، ٨٢.

(٤) المقريزى: السلوك، ج٧، ص٢٠٤. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٨.

عدنان كاتب السر بأن يجمع أربعين شريفاً في الجامع الأزهر والدعاء مجتمعين برفع الوباء، فقام الشريف شهاب الدين بجمعهم وفرق عليهم خمسة آلاف درهم، وذلك يوم الجمعة في الخامس عشر من جمادى الثاني، فقرأوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة، ثم اجتهدوا مع العامة بالدعاء حتى وقت أذان العصر. (١)

- أصدرت الأوامر بتخصيص مجموعة من الكتب لحصر أعداد الموتى وتسجيلها بالديوان. (٢)

- أصدرت الأوامر بمنع النساء من الخروج إلى المقابر. (٣)

- طلب السلطان الفتيا من العلماء في مشروعية الاجتماع للدعاء والقنوت في الصلوات لرفع الوباء، وأجاز له العلماء ذلك. (٤)

- أصدرت الأوامر بانتقال عدد من الأطباء والجراحين إلى الوجه القبلي لتقديم العون للمرضى، وذلك بعد انتشار الوباء بين مدنه المختلفة. (٥)

أما عن العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى العلماء والفقهاء، نذكر منها ما يلي:

(١) المقرئى: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٨. ابن تغرى بردى: المصدر

السابق، ج١٤ ص٣٤٣. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٤ ص٢٧٢.

(٢) المقرئى: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٧. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج١٤ ص٣٤١.

(٣) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٤ ص٢٧٣.

(٤) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٣.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٣٤٤.

- وكان من العادات لدى العلماء والفقهاء عند ظهور الطاعون، هو الحرص على تنفيذ الأوامر السلطانية، وحضور مجالسه، والإجابة على ما يعرضه عليهم السلطان من فتاوى فيما يتعلق بأمر الطاعون أو غيره من المسائل الفقهية. (١)
- الإجتماع بالعامّة لقراءة القرآن، والدعاء إلى الله لرفع الوباء. (٢)

العادات المصاحبة لدى العامة والأهالي نذكر منها ما يلي:

- أدى انتشار الطاعون في فئة الشباب إلى عودتهم إلى الله والتوبة وكثرة الاستغفار والتوجه للمساجد لإقامة الصلوات الخمس، أو للصلاة على الميت. (٣)
- تعطلت الأسواق وتوقفت حركة البيع والشراء لانشغال الناس بذويهم من المرضى والأموات. (٤)
- تزايد ازدحام الناس في طلب الأكفان والنعوش وصعوبة الحصول عليها، فاتجهوا إلى تكفينهم في ثيابهم. (٥)
- ارتفاع أسعار السلع التي يحتاج إليه المرضى لتخفيف حدة المرض، مثل السكر وبذر الرجلة والكمثرى، وغير ذلك من السلع. (٦)

(١) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ١٤، ص ٣٤٤.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ١٤، ص ٣٤١.

(٤) المقرئى: السلوك، ج ٧، ص ٢٠٧. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ١٤، ص ٣٤٣.

(٥) المقرئى: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج ١٤، ص ٣٤٠، ٣٤٢.

ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٤٣٨.

(٦) المقرئى: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ١٤، ص ٣٤٠.

- بسبب كثرة عدد الموتى وقلت التوابيت والنعوش التي يُحملوا عليها، صُنعت التوابيت لحمل الموتى وقُدمت للعامّة على سبيل الصدقة. (١)

وهكذا استمر انتشار هذا الطاعون في مصر أقل من عام، ما بين شهر صفر ٨٢٢/١٩٤١م، حتى نهاية شهر ذو القعدة، وحصد أرواح الآف من المصريين.

٣- انتشار الطاعون في مصر سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م والعادات المصاحبة له:

في سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م انتشر الطاعون في الوجه القبلي ببلاد الصعيد (٢)، وفي شهر شعبان تفشى الموتان في الأبقار، ونفق الكثير منها، و انتشر هذا الطاعون في مدينة القاهرة وضواحيها في بداية شهر رمضان، وبلغ عدد الموتى يومياً نحو عشرين شخصاً، وتزايد العدد حتى بلغ في نهاية الشهر نحو الثمانين شخصاً (٣)، ومع بداية شهر شوال بلغ عدد الموتى في مدينة القاهرة مائة شخص، وتزايد العدد حتى وصل إلى حوالي ثلاثمائة في منتصف هذا الشهر. وقد وصف المقرئزي حالة الناس نتيجة تزايد أمر الوباء بقوله: " شمل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدد الأموات في كل يوم، فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث في هذا اليوم، وهو يوم العيد من القاهرة مائة إنسان، بحيث إتى لم أدرك في طول عمري عيداً كان أكد على الناس من هذا العيد" (٤).

(١) المقرئزي: المصدر السابق، ج٧ ص٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر

السابق، ج١٤، ص٣٤٠. ابن حجر: المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٨.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج٧ ص٣٤٧. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٠. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل ج٥، ص١٩.

(٣) المقرئزي: المصدر السابق ج٧ ص٣٤٩. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥، ص٢٢.

(٤) المقرئزي: المصدر السابق، ج٧ ص٣٥٢.

وروى لنا المقریزی ونقل عنه عدد من المؤرخين رواية طريفة حدثت أثناء هذا الوباء في هذا الشهر، ففي يوم الجمعة التاسع من شوال سرت إشاعة " أن الناس يموتون يوم الجمعة بأجمعهم قاطبة وتقوم القيامة، فتخوف غالب العامة من ذلك، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة المذكور، حضر الناس إلى الصلاة في جامع الأزهر، والناس تزدهم على الحمامات ليموتوا على طهارة كاملة، ولما جاء وقت الصلاة خرج الخطيب ورقى المنبر، وخطب الخطبة الأولى، وجلس للاستراحة بين الخطبتين، فطال جلوسه، فقلق الناس إلى أن قام وبدأ في الخطبة الثانية، وقبل أن يتم كلامه قعد ثانية واستند إلى جانب المنبر مدة طويلة، وظهر كالمغشي عليه، فاضطرب الناس لما سبق من أن الناس تموت في يوم الجمعة بأجمعهم، وظنوا صدق المقالة وأن الموت أول ما بدأ بالخطيب^(١). وبعد قليل وقف رجل وصاح: مات الخطيب، فارتج الجامع وضج الناس، وضربوا أيديهم بعضها على بعض أسفاً وحنناً، وأخذني البكاء وقد اختلت الصفوف، وقام كثير من الناس يريدون المنبر، فقام الخطيب على قدميه، ونزل عن المنبر، فدخل المحراب وصلى من غير أن يجهر بالقراءة، وأوجز في صلاته حتى أتم الركعتين، وقدمت عدة جناز فلم أدر من صلى بنا عليها، وإذا بالناس في حركة واضطراب، وعدة منهم يجهرون بأن الجمعة ما صحت"^(٢).

وفي مستهل شهر ذي القعدة ازدادت حدة الطاعون، وخاصة في ضواحي مدينة القاهرة الشمالية والشرقية، حيث بلغ عدد الموتى حوالي ألف شخص يومياً، وتفشى الطاعون أيضاً في الإسكندرية، ودمياط، ودمنهور وتجاوزت عدة

(١) المقریزی: السلوك، ج٧ ص٣٥٤.

(٢) المقریزی: نفسه، ج٧ ص٣٥٤. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٥ ص٢٩.

من يموت بالإسكندرية في كل يوم مائة شخص.^(١) وسجل المقریزی شدة فتك هذا الوباء بالأرواح بقوله: "وفي شهر ذي القعدة، أهل والناس في أنواع من البلاء الذي لم نعهد مثله مجتمعاً وشنع الموت في المماليك سكان الطباقي، حتى لقد مات منهم في هذا الوباء نحو آلاف، ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشي^(٢)، ومات من الجواري بدار السلطان زيادة على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية، وسبعة عشر ولدًا، ذكورًا وإناثًا، وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض".^(٣)

وفي منتصف هذا الشهر بدأ الطاعون بالتناقص تدريجياً حتى وصل عدد الموتى في نهاية (شهر ذي القعدة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) إلى ثلاثين شخصاً، ثم ارتفع بالكلية، وقدر عدد ضحايا هذا الوباء في مدينة القاهرة وضواحيها من بداية شهر رمضان حتى نهاية شهر ذي القعدة بمائة ألف نسمة، معظمهم من الأطفال والعبيد.^(٤) وقد مات في هذا الطاعون الكثير من الأعيان والمشهورين، ومنهم

(١) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٣٥٧. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥ ص٣٠.

(٢) طواشي: هم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص١٠٩.

(٣) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٣٥٦. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥ ص٣٢.

ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢ ص١٨٤.

(٤) المقریزی: السلوك، ج٧ ص٣٥٩، ٣٥٨. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل ج٥ ص٣٧، ٢٩.

المحتسب دولات خُجا الظاهري^(١)، والقاضي ناصر الدين محمد الفاقوسى الشافعى^(٢)، والقاضي صلاح الدين محمد الفؤى^(٣)، والكثيرين غيرهم.^(٤)

(١) دولات خجا: هو من مماليك الظاهر برقوق، تولى الكثير من الأعمال ، حتى تولى الحسبة على الرغم من كونه نصرانياً، واتصف بالقسوة والظلم ، ولم يرض عنه عامة المصريين لتعسفه وقسوته. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢١٨. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥، ص٣٤. السخاوى: الذيل، ج٢، ص٥٦٠. الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٦.

(٢) ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن الفاقوسى الشافعى، والفاقوسى نسبة إلى منية الفاقوس إحدى قرى الشرقية من أعمال مصر بالحواف الشرقى،. ولد بالقاهرة ٢٥ صفر سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م، وهو أحد أعيان المذهب الشافعى في مصر، وأحد محدثيها ، درس على علماء مصر وبلاد الشام ، وأخذ عنه الكثيرين من طلبة العلم ، وقد ولى بعض المناصب الإدارية ، منها ديوان الخاص فى عصر الظاهر برقوق. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج٥، ص١٥٧. السخاوى: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٢١ - ٢٢٣. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق ، ج٥، ص٣٢. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٢.

(٣) صلاح الدين محمد بن صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الفؤى المصرى ، ولد في شهر رمضان سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م ، نشأ بالقاهرة في رعاية والده صاحب بدر الدين، وتدرج في العديد من مناصب الدولة الإدارية، إلى أن تولى الحسبة في عصر الأشرف برسباى، ثم أصبح كاتب السر للسلطان قبل وفاته بعام واحد، وخلفه أبوه في كتابة السر للسلطان . ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج٥، ص٢١٨-٢١٩.

ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥، ص٣٣-٣٤. السخاوى: الذيل، ج٢، ص٥٦٠.

(٤) ذكرت العديد من المصادر أسماء المتوفين في هذا الطاعون من الأعيان والمشاهير ومنهم، المقريزى: المصدر السابق، ج٧، ص٣٦٥ - ٣٦٩. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج٥، ص٢١٠-٢٢١. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥، ص٣٢، ٣٠، ٢٣، ٣٥، ٣٦.

- العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٨٤١هـ/١٤٣٧م:-

- العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى السلطان والوزراء :-

- أرسل السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧ م) (١) يستفسر من العلماء عن سبب انتشار الطاعون، وما إذا كانت الذنوب والمعاصي لها صلة بظهور الطاعون. (٢)
- دعوة السلطان العلماء والفقهاء للجلوس بين يديه وقراءة كتاب البخارى كاملاً. (٣)
- استجابة السلطان برسباي لرأى العلماء بمنع خروج النساء إلى الشوارع والأسواق. (٤)
- العفو عن جميع المسجونين، وأغلقت السجون بالقاهرة ومصر، وانتشر المجرمون في البلاد. (٥)

- (١) الأشرف سيف الدين برسباي الدقماقي الظاهري ، وهو من المماليك الذين أعتقهم الظاهر برفوق ، وهو السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك. تولي السلطان "برسباي" عرش دولة المماليك، ٨٢٥هـ./٨٤١م ، ويُعد من عظام سلاطين الدولة المملوكية، وعلى يديه فُتحت قبرص ، وكان ملكاً جليلاً عاقلاً ، محباً لأهل العلم. السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣، ص٨، ٩. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٥، ص٣٩، ٤٠.
- (٢) المقریزی: السلوك، ج٧ص٣٥٠. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل ج٥، ص٢٤ . ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٢.
- (٣) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ص٣٥٠. ابن إياس: المصدر السابق ، ج٢، ص١٨٢.
- ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥، ص٢٤.
- (٤) المقریزی: المصدر السابق ، ج٧ص٣٥٠. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق ، ج٥، ص٢٨.
- (٥) المقریزی: المصدر السابق ، ج٧ص٣٥١. ابن إياس: المصدر السابق ، ج٢، ص١٨٢.

- أمر السلطان بالتخلص من الخمر في بيوت اليهود والنصارى، وكسرت آلاف الجرار. (١)

- منع النساء البغايا من مزاولة عملهن، وألزمهن بترك التكسب من المعصية، وأمرهن بالزواج. (٢)

العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى العلماء والفقهاء:-

- طاعة أولى الأمر من السلطان والأمراء، وقراءة القرآن وكتاب البخارى، والدعاء والتضرع إلى الله برفع الوباء (٣).

- طالب العلماء والفقهاء السلطان بوجوب العودة إلى الله ومنع ظهور المعاصى التى هى سبب ظهور الوباء. (٤)

العادات المصاحبة لطاعون ٨٤١هـ / ١٤٣٧م لدى العامة من المصريين:-

- توقفت عملية الشراء والبيع وأغلقت الأسواق. (٥)

- أصيبت النساء من الأرامل والعاملات بالأسواق بضرر كبير، بسبب أوامر

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص١٨٤. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق ، ج٥، ص٢٧.

(٢) وكان على طائفة المغانى والبغايا في جميع أنحاء مصر ضرائب مقررة تحصلها منهم ما تعرف بـ"الضامنة"، وكانت تلك الضرائب مقابل منح ترخيص لهؤلاء بمزاوله أعمالهن. المقريزى: المصدر السابق، ج٥، ص٤. ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص١٨٤. مرفت عثمان حسن: طائفة المغانى فى مصر فى العصر المملوكى، طبعة ٢٠١٠، د.ت، ص٣٨٤، ٣٨٥.

(٣) المقريزى: السلوك، ج٧، ص٣٥٠. ابن إياس: بدائع الزهور ، ج٢، ص١٨٢.

(٤) المقريزى: المصدر السابق، ج٧، ص٣٥٠. ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص١٨٢.

(٥) المقريزى: المصدر السابق، ج٧، ص٣٥٠، ٣٥٤. ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص١٨٢.

السلطان بمنعهم من الخروج إلى الأسواق.^(١)

- إقبال العامة على شراء ما يلزم لتجهيز الموتى من الأكفان والأقطن وما إلى ذلك.^(٢)
- إغلاق سوق الرقيق وكساد التجارة فيه لكثرة من يموت من العبيد والإماء في هذا الطاعون، وتوقف الناس عن شرائهم ولو بأبىح الأثمان.^(٣)

ومما سبق يتبين أن هذا الطاعون قد استمر أقل من عام، من شهر شعبان ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م، إلى شهر ذى القعدة من نفس السنة، وكان غالبية الضحايا من الأطفال والمماليك والعبيد.

طاعون سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م والعادات المصاحبة له:

انتشر الطاعون في مصر في سنة (٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م)، واستمر هذا الطاعون إلى سنة (٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م)، وقد بدأ انتشاره في مدينة دمياط وفارسكور، وذلك في شهر ربيع الأول (٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م).^(٤) وكان الطاعون قد انتشر في شهر رمضان (٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م) في مدينة القاهرة، والفسطاط، والمحلة، التي وصل عدد الموتى فيها زيادة على مائتي شخص يومياً^(٥)، وفي شهر شوال تزايد أمر الطاعون في مدينة القاهر. ووصف المؤرخون شدة فتكه بالناس، فتذكر المصادر أن الطاعون "أخذ بالزيادة وصار يتخطف الناس، وأخذ

(١) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٣٥٠. ابن إياس: المصدر السابق، ج٢ ص١٨٢.

ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٥ ص٢٤.

(٢) المقریزی: المصدر السابق ج٧ ص٣٥٦.

(٣) المقریزی: المصدر السابق، ج٧ ص٣٥٩. بن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٥ ص٣٤.

(٤) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٧ ص١٥٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣ ص١٢٢.

السخاوي: الذيل ج٣ ص٨٧١.

(٥) بن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧ ص١٦٧.

الناس الهلع الشديد والرعب والفرع، وكان طاعوناً وطياً يموت الإنسان فيه بعد طعنه بيوم أو يومين أو ثلاثة، فإن جاوزه اليوم الثالث رُجي له البرء وكان طاعوناً مهاباً... وفي آخر شوال مات كثير من الأطفال والجوارى والعبيد، وجزع الناس فيه لاسيما على أولادهم وخدمهم".^(١)

وفي شهر ذو القعدة (٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م) بلغ عدد الموتى في مدينة القاهرة وضواحيها نحو ستين شخصاً في اليوم، وكان يُصلى على نحو المائة في المصلى الواحد، كما انتشر الوباء في بولاق^(٢)، ويصور لنا ابن شاهين الظاهري حدة انتشار الوباء ويقول: "وصار يجرف الناس جرفاً، ورؤيت الجنائز كالقطارات، وربما صُفّت الجنائز عشرة في مرة واحد، بل وربما أزيد من ذلك".^(٣) وازدادت أعداد الموتى في القاهرة وبلغت نحو ألف شخص، كما كثر الموت في ممالك السلطان بالقلعة، فكان جملة من مات منهم أواخر ذى القعدة أكثر من أربعمائة.^(٤)

وفي بداية شهر ذي الحجة (٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م)، ازدادت حدة الطاعون، إذ وصل عدد الموتى يومياً إلى ثلاثة آلاف شخص، بل ذكر بعض المؤرخين أن العدد وصل إلى عشرة آلاف^(٥)، ويسجل ابن شاهين عدم فرحة المصريين بعيد الأضحى لشدة فتك هذا الطاعون بهم خلال هذا الشهر، فيقول فيه: "كان

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص١٩٢. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق،

ج٧، ص١٦٩، ١٦٨، ١٧٠.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٢.

(٣) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٠.

(٤) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٤، ١٧٠.

(٥) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٧، ص١٧٠.

عيد النحر من نوادر الأعياد وأغربها، وكونه ما وجد به السرور لأحد غالباً لكثرة الموتى والصياح عليهم والعويل، واشتغال الناس وبالهم عن العيد بموتاهم^(١)، وفي نصفه حُسب من مات من الجند السلطاني من الجلبان والقرانصة فكانوا نحواً من ألفي نفر وزيادة، خارجاً عن السيفية وغير مشاة الخدمة، وعن الخدام من الطواشية، وأما الخدام الطواشية فلم يبق منهم أحد حتى بقي السلطان عنده، وحكي عنه أنه مرة حمل مطخبه بنفسه حتى دخل بها إلى حريمه، وكان من مات من طواشية خدمته نحواً من خمسة وعشرين طواشياً، ومات من ممالك الأمراء شيئاً كثيراً، وعدم الناس الخدم من العبيد والإماء، ووقع في هذا الطاعون نوادر كثيرة"^(٢).

وقال أيضاً: "وخرجت هذه السنة والناس في وجل شديد وتخوف ما عنه مزيد مما حل بهم من هذا الوباء،...، وقد عم الطاعون سائر بلاد مصر قبلياً وبحرياً شرقاً وغرباً، وخلت منه الديار، بل والقرى ونجوع العرب، وصارت الموتى بالوجه القبلي تُرمى كالبهائم، وتُترك من غير تجهيز ولا تكفين ولا دفن، وربما مات جميع من في نجع فيرمون عليهم بثوب الشعر ويتركوهم كما هم، وجافت البلاد من جيف الموتى وسواحل النيل مما يرمون الموتى بلا دفن من المراكب"^(٣).

وبدأ هذا الوباء بالتناقص في نهاية هذا الشهر، حتى ارتفع بالكلية في نهاية شهر محرم سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م.^(٤)، وقد زال هذا الطاعون بعد أن راح

(١) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٥.

(٢) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٥.

(٣) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٧، ص١٨٤. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص١٩٢.

(٤) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٢٥.

ضحيته آلاف المصريين ومات فيه كثير من الأعيان والأمراء، نذكر منهم أحمد ابن عيسى أمير عرب هوار^(١)، وقانصوه رفراف الإبراهيمي^(٢)، والشيخ البهاء أبو الفتح القاياتي^(٣)، وغيرهم من الأعيان والمشاهير.

العادات الاجتماعية المصاحبة لطاعون ٨٨١هـ / ١٤٧٦م:-

- العادات لدى السلطان والأمراء والوزار:

- أصدر السلطان في تلك الفترة الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٥م)^(٤)، الأوامر بتجمع عدد من العلماء والفقهاء في القلعة لقراءة كتاب البخاري^٥.

(١) أحمد بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، أمير العرب بهوار في صعيد مصر، وكان شاباً اشتهر عنه حسن الخلق والأدب الجم . السخاوى: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٦٢. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٩.

(٢) قانصوه رفراف الإبراهيمي الخاصكى، أحد فرسان المماليك الذين اشتهروا بحسن الخلق، والأدب والفضيلة، وكان له نصيب من التصوف. ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٨.

(٣) البهاء أبو الفتح محمد القاياتى الشافعى، شيخ البيبرسية، ودرس بالمدرسة الأشرفية، كما تولى مشيخة مدرسة سعيد السعداء بالقاهرة. السخاوى: الذيل، ج ٣، ص ٨٧٤.

(٤) الملك الأشرف قايتباي المحمودى الظاهرى الجركسى الأصل اشتراه الملك الأشرف برسباى، وتقلب في المناصب الإدارية والعسكرية، ثم تولى سلطنة مصر سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م، وكان له من العمر خمسة وخمسون عاماً، وأقيمت في عصره الكثير من المنشآت في مصر، منها برج المنار بالإسكندرية وهى التى أمر ببنائها على أنقاض المنار القديم، والقلعة المعروفة باسمه فى الإسكندرية، كما أمر بتجديدات فى المسجد النبوى، والجامع الأموى بدمشق، والكثير من المدارس والمساجد والأسبلة فى مصر والشام والحجاز، وتوفى سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م، وكانت مدة حكمه تسعة وعشرين سنة. ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٤٣-١٤٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٢. ابن شاهين الظاهري: الذيل، ج ٧، ص ١٦٦، ١٦٨.

- مشاركة بعض الأمراء والوزراء فى التخفيف عن كاهل المصريين وتخصيص أموال لتجهيز أعداد كبيرة من الموتى، ومن هؤلاء يشبك الداودار، وزين الدين الإستادار. (١)

- تخصيص يشبك الداويدار مكان لتغسيل الموتى بالقرب من مدرسة السلطان حسن، لتجهيز الموتى خاصة من الغرباء الذين لا مأوى ولا عائل لهم. (٢)

- العادات لدى العلماء والفقهاء:

لقد كان ظهور الطاعون وانتشاره بين الناس فرصة لتبادل الآراء حول المسائل الفقهية المتعلقة بمرض الطاعون، ومشروعية التجمع والدعاء، وغير ذلك من المسائل الى تظهر مع انتشار الوباء، غير أنه فى أحيان كثيرة كان المجلس يخرج عن كونه مجلساً لسماع الحديث، ويطلقون إلى أحاديث أخرى لا فائدة منها. (٣)

- العادات المصاحبة لطاعون ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م لدى عامة الناس:

- سادت حالة الحزن الشديدة بين عامة المصريين لانتشار الموت بين أطفالهم وخدمهم. (٤)

- أفسدت فرحة المصريين بعيد الأضحى الذى تزامن مع شدة انتشار الطاعون. (٥)
وهكذا زال هذا الطاعون بعد أن استمر ما يقرب من عام، وكان أكثر الضحايا من الأطفال والعيبد.

(١) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٠.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٦.

(٣) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٦٦.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٢٥. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ج٧، ص١٦٩،

١٧٠.

(٥) ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٥.

انتشار وباء ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م في مصر والعادات المصاحبة له:

عرف بعض المؤرخين هذا الطاعون بـ " الطاعون العام العجيب الذي لم يسمع بمثله"^(١)، وكان أول ظهوره في مدينة بلبيس وسرياقوس^(٢)، وقد بلغ عدد الموتى فيهما مائة شخص يومياً، بل يذكر السيوطي أن عدد الموتى بلغ في سرياقوس وحدها ثلاثمائة شخص يومياً. وفي شهر جمادى الأولى تفشى الطاعون في القاهرة^(٣)، وازدادت حدته، وذكر بعض المؤرخين أن عدد الموتى بلغ في بعض أيام هذا الشهر عشرة آلاف شخصاً، وذكر آخرون أن العدد تراوح ما بين عشرين ألفاً وخمسة وعشرين^(٤).

ويبدو من ذكر هذا العدد المبالغة الكبيرة، ولكن رغم ذلك ذكر ابن إياس أن العدد الإجمالي لضحايا هذا الطاعون الذي تم إحصاؤهم فقط بلغ حوالي مائتي ألف شخص^(٥)، وذكر السيوطي أن نصف سكان مدينة القاهرة ماتوا في هذا الطاعون^(٦)، وهذا لعله مما يرجح صحة رواية المؤرخين السابقة. وقد بدأ هذا الطاعون بالتناقص في أواخر شهر رجب حتى ارتفع بالكلية في شهر شعبان^(٧). ثم عاد بالظهور مرة أخرى في شهر المحرم سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م) وانتشر

(١) العماد الحنبلي (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م): شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير ، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣، ج٩، ص٥٤١.

(٢) السخاوى: الذيل، ج٣، ص١٢٣٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٦.

(٣) السخاوى: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣٧.

(٤) السخاوى: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣٨.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨٩.

(٦) السيوطى: مقامات السيوطى، القسطنطينية ، الطبعة الأولى، ٢٩٨٠م، ص٧٠.

(٧) السخاوى: الذيل، ج٣، ص١٢٣٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٢.

بالإسكندرية، وكذلك في مدينة القاهرة والمناطق المجاورة لها في شهر رجب، واستمر هذا الطاعون إلى شهر رمضان، ومات به أعداد كبيرة من الناس^(١). وقد توفي في هذا الطاعون العديد من الأعيان والمشاهير، ومنهم الزين عبد اللطيف^(٢)، وصلاح الدين بن محمد البدر السعدى^(٣)، وقانصوه الأشرفى^(٤).

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٨٩٧هـ/١٤٩٣م:-

كان هذا هو الطاعون الثالث الذى يضرب البلاد فى سلطنة الأشرف قايتباى، وعلى الرغم من ذلك لم تحدثنا المصادر عن إجراءات اتخذها السلطان مع انتشار هذا الوباء فى البلاد^(٥)، ولعله اتخذ نفس الإجراءات التى حدثت فيما سبق من أوبئة.

- أما العامة فنجد أنهم انتشر بينهم الأذكار والأدعية، وكذلك الدعوة للصوم والتضرع إلى الله، فكان الصوم لمدة سبعة أيام هو عادة المصريين عند ظهور هذا الوباء ظناً منهم أن هذا سيفيد فى رفع الوباء عن البلاد^(٦).

- قلة الأقمشة التى تستخدم لتكفين الموتى فى الأسواق، واضطر الأهالى إلى استخدام الأنواع الأقل جودة فى تكفين موتاهم، وهو ما يسمى بالخام واللحم^(٧).

(١) السيوطى: المصدر السابق، ص ٧١. السخاوى: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٣٨. العماد

الحنبلى: شذرات الذهب، ج ١، ص ٩٠٥٤١.

(٢) السخاوى: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٨.

(٣) السخاوى: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٨٥.

(٤) قانصوه الأشرفى إينال، وهو أحد قادة المماليك، وهو أخو نائب سيباى حلب. السخاوى:

المصدر السابق، ج ٦، ص ١٩٨.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧. ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص ١٢١.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٨٦. السيوطى: المقامات، ص ٧٠.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧. السخاوى: الذيل، ج ٣، ص ١٢٣٩.

- قلة المنتجات الغذائية المعروضة في الأسواق، وارتفعت أسعارها. (١)
- انتقل كثير من المصريين للإقامة في منطقة الروضة على نيل مصر، فراراً من الوباء، وظناً منهم أن الطاعون يقل في المناطق القريبة من الماء. (٢)
- اتجه العديد من أصحاب الحرف والباعة للعمل في التكسب بحفر اللحود لدفن الموتى، وتكسب العديد من المصريين في هذا العمل. (٣)
- اضطر الكثير من أهل مصر إلى مخالفة السنة والفرار بنفسه أو أهله للنجاة من الطاعون والخروج من مصر، واتجه البعض منه إلى مكة أو المدينة، ومن هؤلاء عبد البر بن الشحنة، وعشيرته بن قريية. (٤)
وزال هذا الوباء بعد أن استمر أكثر من عام، وحصد حياة أعداد كبيرة من الأهالي.

طاعون سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م والعادات المصاحبة له:

تفشى مرض الطاعون في مصر من جديد في شهر رجب سنة (٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م)، وبدأ بالظهور في مدينة القاهرة، ومات به جماعة من الناس (٥)، وأحصي من مات إلى العشرين من شعبان فبلغ ألفين وثمانمائة وثمانين شخصاً (٦)، وفي بداية شهر رمضان ازدادت حدة الطاعون في مصر، إذ بلغ عدد

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٧. السخاوي: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣٩.

(٢) السيوطي: المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

(٣) السخاوي: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣٩.

(٤) السخاوي: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣٩-١٢٤٠.

(٥) ابن إياس: بدائع بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٧. ابن الحمصي (أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ت ٩٢٤ هـ): حوادث الزمان، تحقيق عبد العزيز فياض حروفش، دار النفائس،

بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ج٢، ص٣٢٤.

(٦) ابن الحمصي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٦.

الموتى يومياً حوالي ثمانمائة شخص من الأطفال والعبيد والمماليك^(١)، وبدأ هذا الطاعون بالتناقص بالتدريج مع نهاية شهر رمضان حتى ارتفع بالكلية مع حلول شهر شوال، وبلغ العدد الإجمالي لضحايا هذا الطاعون مائتي ألف وستة وثمانين ألفاً وستة عشر شخصاً^(٢).

العادات المصاحبة لظهور طاعون ٩٠٣هـ/١٤٩٧م:-

- لما كثر الموت في المصريين، أصدر السلطان محمد بن قايتباي (٩٠١-٩٠٤هـ/١٤٩٥-١٤٩٨م)^(٣) أمراً بتعمير مكان لتغسيل الموتى وهو ما يعرف بـ "سبيل المؤمنين"^(٤).

- شدد السلطان على المتولين لأعمال الحفر ودفن الموتى بضرورة الحفاظ على القبور من اعتداءات لصوص الأكفان، كما نُفذت أوامر السلطان في أحد اللصوص بتعذيبه ثم تعليقه على باب النصر حتى الموت.^(٥)

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الطاعون، إذ لم يستمر أكثر من أربعة أشهر إلا أنه راح ضحيته أعداد كبيرة من الأطفال والمماليك والعبيد.

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٣٨٩.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٣٩١. ابن الحمصي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٨.

(٣) محمد بن قايتباي الملك الناصر أبو السعادات ابن الأشرف، تولى الحكم ١٦ ذى القعدة سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، ولم تطل مدة حكمه فكانت أقل من ثلاث سنوات، ومات مفتولاً سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م.

ابن دقماق: الجواهر الثمين، ص١٤٨، ١٤٩. ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين، ١٤٧-١٤٩.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٣٩١.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج٣، ص٣٩١.

ظهور الطاعون في مصر سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م والعادات المصاحبة له :

وفي شهر (رمضان سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م) انتشر الطاعون في مصر^(١)، وفي شهر شوال ازدادت حدة الطاعون، وبلغ عدد الموتى أربعة آلاف شخص يومياً^(٢)، واستهل شهر ذي الحجة والطاعون منتشر في مصر و"قد فتك في الناس فتكاً ذريعاً، وأفنى من المماليك والعبيد والجواري والأطفال والغرباء ما لا يحصى"^(٣)، ولم يتناقص هذا الطاعون إلا في أواخر شهر ذي الحجة^(٤).

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م:

_ عادات السلطان والأمراء والوزراء:

أظهر السلطان الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦ م)^(٥) العدل في الرعية، وأوقف عدداً من الأوامر السلطانية، ومنها توقف

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٧٥.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٦.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٩.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٩.

(٥) قانصوه الأشرفي الجركسي المعروف بالغوري، والغوري نسبة إلى طبقة الغور وهي إحدى الطبقات التي كانت موجودة في مصر لتعليم المؤدبين، تولى سلطنة مصر في أول شوال سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م، أنشئت في عصره الكثير من المنشآت منها القبة والمدرسة والكتاب والسبيل المعروفون باسمه، واستمر على سلطنة مصر حتى قتل في موقعة في مرج دابق شمال حلب في ١٥ رجب سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م.

ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين، ١٥٥ - ١٥٧. ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن احمد بن طولون الصالح ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٢٢٢.

- العمل بما يعرف بـ " المشاهدة " فى الحسبة، ولكن هذا القرار سرعان ما تم العدول عنه وعادة المشاهدة من جديد بعد توقف الطاعون من مصر. (١)
- أمر السلطان بتخصيص مكان لتغسيل الموتى للإسراع فى عملية تجهيز الموتى ودفنهم. (٢)
- أصدرت الأوامر بمنع النائحة على الميت، ومعاقبة من لم تلتزم بالأمر، كما منعت النساء من الذهاب إلى أماكن العزاء ليلاً. (٣)
- إراقه كميات كبيرة من الخمر فى بيوت اليهود والنصارى. (٤)
- غلق أماكن اللهو، ومنع بيع المواد المسكرة كالحشيش وغيره من المنكرات. (٥)
- العادات المصاحبة لظهور طاعون ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م لدى عامة المصريين:**
- ساد المجتمع المصرى الخوف والفرع من انتشار الطاعون. (٦)
- ارتفعت أسعار العديد من السلع التى قد تساعد فى الوقاية من مرض الطاعون، مثل الرمان والبطيخ، والسكر النبات. (٧)

(١) وعقوبة المشاهدة أو التجريس هى إحدى طرق العقاب فى عصر المماليك ، وهى أن يطوف بالشخص المذنب على حمار ويضرب الجرس على رأسه، ويُنادى عليه ليجتمع الناس حوله ، وأحياناً تزفقه المغانى ، ثم يُضرب وسط الناس بالسياط عقاباً له على ذنبه ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٧٧. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م ، ص١١٠.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٧٥.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٧٦.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٧٦.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق ، ج٤، ص٧٦.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٧٩.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٧٦.

ومن الأعيان والمشهورين الذين ماتوا بالطاعون، قاضى القضاة عفيف الدين أبو الطيب حسين^(١).

طاعون ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م فى مصر والعادات المصاحبة له:

كان هذا هو الطاعون الثالث الذى وقع فى سلطنة قانصوه الغورى، إلا أنه كان الأشد فتكاً بالناس عما قبله^(٢) وفى شهر محرم سنة (٩١٩ هـ / ١٥١٣ م) انتشر الطاعون فى مدينة القاهرة وضواحيها^(٣)، وتزايد أمره فى شهر صفر، فقام أعيان الأمراء والموظفين بإرسال أطفالهم وزوجاتهم وخدمهم إلى منطقة جبل الطور لاعتقادهم بأنها لا يدخلها الطاعون^(٤)، ويذكر لنا ابن إياس حادثة طريفة وقعت فى هذا الطاعون، فقد نصح بعض الحكماء السلطان أن يلبس فى أصابعه خواتم ياقوت أحمر؛ وذلك لأنه ينفع فى منع الإصابة بمرض الطاعون، فقام السلطان بالعمل بهذه النصيحة وصار يلبس خاتمين فى أصابعه^(٥). وفى هذا الشهر بلغ عدد الموتى حوالي ثلاثمائة وستين شخصاً يومياً^(٦)، ومع بداية شهر ربيع الأول ازدادت حدة الطاعون، ومات من المماليك أعداد

(١) عفيف الدين أبو الطيب حسين بن محمد بن القاضى بن الشحنة، ولد بالقاهرة سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م، تلقى تعليمه بالقاهرة، فدرس البخارى عن الشهاب الشاوى، كما درس الحديث فى حلب، وتولى القضاء بها، وتوفى بالقاهرة فى طاعون ٩١٠ هـ. العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج١٠، ص٦٦.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٠٢.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٥. ابن الحمصى: حوادث الزمان، ج٣، ص٤٩٦.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٩. السيوطى: المقامات، ص٧٨، ٧٩.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٥.

كبيرة^(١)، وبلغ عدد الموتى يومياً حوالي ثلاثة آلاف يومياً أكثرهم من الأطفال والعبيد والجواري^(٢). وبدأ الطاعون بالتناقص في أواخر شهر ربيع الثاني^(٣)، ولم تحدد المصادر وقت انتهائه كلياً.

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٩١٩هـ/١٥١٣م:-

- العادات لدى السلطان والأمراء وكبار موظفي الدولة:

- أظهر السلطان قانصوه الغوري العدل في الرعية، وأمر برفع المظالم عن الناس، وأبطل المشاهرة، والمكوس المقررة على أصحاب البضائع والتجار، والمطاحن.^(٤)

- أمر السلطان برفع الرسوم التي يحصلها أرباب الوظائف، كما أمر بمنع النقباء على أبواب الأمراء.^(٥)

- صدرت الأوامر السلطانية بالعفو عن جميع المسجونين و إطلاق سراح النساء السجينات في " سجن الحجرة".^(٦)

- صدرت الأوامر بمنع تداول المواد المسكرة والمخدرة، كالحشيش وغيره، ومنع النساء المرخص لهم بالبغاء من ارتكاب الفواحش.^(٧)

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٦.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٨.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص ٣١٢.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٠٤.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٢.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٣. سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر

سلاطين المماليك ص ١٠٩.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٣.

- مع انتشار الطاعون ووقوع أعداد كبيرة من الموتى، أمر السلطان بفتح المغاسل للسبيل، كما جرت العادة عند انتشار الطواعين الأخرى. (١)

- مع انتشار هذا الطاعون ظهرت عادة جديدة لدى الأعيان والأمراء وأصحاب الوظائف الهامة بالدولة، وهى الخروج بأبنائهم إلى جبل الطور فى سيناء، اعتقاداً منهم أنه لا يصله الطاعون، فينجو من يسكن فيه من الموت، فخرج إلى جبل الطور قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة وأولاده، وزوجة السلطان قانسوة الغورى ومعها ولدها، وعدد من الأمراء والأعيان وأبنائهم. (٢)

- العادات المصاحبة لطاعون ٩١٩هـ/١٥١٣م لدى العامة:

- كما هى العادة فى الطواعين السابقة، عمت المصريين حالة من الحزن والأسى لفقد الأبناء، فقد كان الأطفال هم الأكثر عدداً فى هذا الطاعون إلى جانب العبيد والجوارى. (٣)

- ظهرت عادات لدى العامة فى هذا الطاعون لم يعهدها المجتمع المصرى من قبل، ومن ذلك أنه كان أحدهم إذا ماتت له ابنة فى سن الشباب كان يقوم بوضع بعض أنواع الحلى على ظاهر النعش على موضع الرأس والقدم. (٤)

ومما سبق يتضح أن مصر قد تعرضت لوباء الطاعون فى عصر قانسوة الغورى أكثر من مرة غير أن الطاعون الثالث، والذى وقع سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، كان هو الأكثر خطراً وأشد فتكاً، وغالبية الموتى كانوا من الأطفال والعبيد.

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٣٠١.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٢٩٨، ٢٩٩.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٣٠١، ٣١٠.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٣٠٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد...

فمن خلال الدراسة السابقة والتي تحدثت فيها عن: العادات المصاحبة للطواعين والأوبئة في مصر في عصر المماليك البحرية والبرجية (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)، تم التوصل إلى عدة أمور، نذكرها فيما يلي:

- تعددت الطواعين والأوبئة التي تعرضت لها مصر في تلك الفترة، وقد استعرضت بالدراسة الطواعين المشهورة منها، والتي كان لها أثرها على المجتمع المصري.

- على الرغم من تعدد الأوبئة والطواعين التي تعرضت لها مصر في تلك الفترة، إلا أنه تتشابه في العادات المصاحبة لظهورها في كثير من الأحيان، ويمكن أن نوجزها فيما يلي:-

أولاً: عادات سلاطين المماليك والأمراء والوزراء والأعيان :-

- كان ظهور الطواعين والأوبئة دافعاً للسلاطين إلى العمل بأحكام الشرع وتطبيقها، فأصدرت الأوامر بالتخلص من الخمر لدى اليهود والنصارى، ومنع المواد المخدرة على اختلافها، وألغيت العديد من الضرائب والمكوس الجائرة، وكذلك منعت البغايا من مزاوله أعمالهن، كما شددت الأوامر على اليهود والنصارى بالتزام ما أمروا به في ملابسهم ووجوب مخالفة المسلمين في الزي والمظهر.

- حرص العديد من السلاطين والأمراء والأعيان على الابتعاد عن أماكن الوباء فراراً من الموت بأنفسهم وأولادهم، فخرج العديد منهم إلى مدينة سرياقوس، والروضة، وجبل الطور.

- تقديم المساعدات المادية والعينية لعامة المصريين، كتجهيز الموتى وجميع ما يلزم أعمال الدفن، ومن ذلك إشراف بعض الأمراء بأنفسهم على تغسيل الموتى، وتخصيص أماكن للغسل وكذلك توفير التوابيت والنعوش.
- مشاركة العامة تجمعاتهم بالصحراء للدعاء والتضرع إلى الله برفع الوباء عن البلاد والتقرب إلى الله بالأضاحي وتوزيعها على عامة المصريين.
- في بعض الأحيان تم إطلاق صراح المسجونين من الرجال والنساء بغرض التقرب إلى الله.

ثانياً: العادات لدى العلماء والفقهاء فكانت :-

- الحرص على توجيه عامة المصريين إلى التضرع إلى الله والتوبة من الذنوب والمعاصي التي قد تكون سبباً في ظهور الطاعون وانتشار الوباء.
- أجاز بعض العلماء مسألة التجمع والدعاء إلى الله لرفع الوباء، بينما عارض البعض الآخر.
- اعتاد علماء مصر وفقهاؤها على التجمع وقراءة كتاب البخارى كاملاً.

ثالثاً: العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى عامة المصريين :

- سادت حالة الحزن والأسى عامة المصريين بسبب انتشار الموت بين الأهل والأحبة.
- صيام ثلاثة أيام أو أكثر، والتضرع لله والدعاء برفع الوباء.
- تحول أصحاب الحرف والصناع عن أعمالهم إلى أعمال تجهيز الموتى ودفنهم بغرض التكسب من ذلك.
- صاحب انتشار الطواعين والأوبئة في مصر انخفاض أسعار السلع في الأسواق، مع ارتفاع أجور أصحاب الأعمال والصناعات لقلّة عدد المشتغلين بها.
- إغلاق الأسواق وتوقف حركة البيع والشراء لانشغال عامة المصريين بالمرضى أو الموتى.

- تزايد ازدهام العامة على طلب الأكفان والنعوش وانعدامها فى أحيان كثيرة مع كثرت أعداد الموتى.
- فى بعض الأحيان أصيبت بعض النساء من الأرامل و العاملات بالأسواق بضرر كبير بسبب منعهن من الخروج إلى الشوارع والأسواق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين....

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

ابن أبي الدنيا (عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م)

١- العقوبات، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم سنة، ١٤١٦ - ١٩٩٦.

أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م).

٢- مسند الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)

٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

ابن أبيك (أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدوداري ت ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م)

٤- كنز الدرر، نشر وتحقيق قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، د.ت.

البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)

٥- السنن الكبرى، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، دار المعرفة.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م):

٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، د.ت.

ابن الجزري (محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي أبو عبد الله)

- ٧- تاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- الحاكم (أبو عبد الله الحاكم محمد ابن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحاكم الضبي الطهماني النيسابوري ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م)
- ٨- المستدرك، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م).
- ٩- صحيح ابن حبان،، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣.
- ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).
- ١٠- إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ١١- بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، د.ت.
- ابن الحمصي (أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ت ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م)
- ١٢- حوادث الزمان، تحقيق عبد العزيز فياض حروفوش، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ت: ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م)

- ١٣- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
- أبو داوود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م)
- ١٤- سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٣٩.
- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلاني ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)
- ١٥- الجواهر الثمين في سيرة الملوك والخلفاء والأساطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث. ١٩٨٢.
- ١٦- النفحة المسكية في الدولة التركية - من كتاب الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٩٩ م.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
- ١٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)
- ١٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ١٩- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة. د.ت.
- ابن سينا (الشيخ الرئيس أبوالحسين بن علي بن سينا ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م)

- ٢٠- القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- السيوطى(عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيرى السيوطى جلال الدين ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- ٢١- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.
- ٢٢- مقامات السيوطى، القسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٢٩٨م.
- ابن شاهين الظاهرى(زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م)
- ٢٣- نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٢٤- نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الطبرانى(سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبرانى ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)
- ٢٥- المعجم الكبير، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ابن طولون(شمس الدين محمد بن على بن احمد بن طولون الصالح ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)
- ٢٦- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفى الدين ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
- ٢٧- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- العماد الحنبلي (شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى دمشقى ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
- ٢٨- شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣.
- العيني (بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
- ٢٩- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧-١٩٨٨م.
- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م)
- ٣٠- المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمود ديوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
- ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢م)
- ٣١- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجاة اسم أبيه يزيد ت
٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م)

٣٢- السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل
عيسى البابي الحلبي، د.ت.

المقريزي (نقى الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي
ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م):

٣٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)

٣٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، د.ت.
ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م).

٣٥- معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

ثانياً المراجع:-

أحمد السعداوى

١- المغرب الإسلامى في مواجهة الطاعون، ١٩٩٥، بيانات النشر بدون.

جليل أبو الحب

٢- الحشرات الناقلة للأمراض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور

٣- المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية،
القاهرة، ١٩٩٢ م.

عاهد طه عبد اللطيف سلمان

٤- الرسائل الوصفية في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة،
جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٧م.

علي علي المرسي

٥- أساسيات علم الحشرات، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥ هـ /
٢٠٠٤ م.

محمد أحمد دهمان

٦- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت،
لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

مرفت عثمان حسن

٧- طائفة المغاني في مصر في العصر المملوكي، ٢٠١٠، بيانات النشر بدون.